مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (24) – العدد (01) (جوان، 2023) -ص351- 362
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

سيكولوجيا الشخصية الروائية في رواية الطلياني لشكري المبخوت

The Psychology of the Narrative Character in Shukri Al-Mabkhout's Novel, Al-Taliani

سوهة رومي*، (جامعة البويرة)، s.roumi@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2023-02-15	2023-06-06

ملخص

سعت هذه الدرا سة إلى تتبع آليات المنهج النف سي عند سيجموند فرويد في درا سة رواية "الطلياني" لشكري المبخوت، فكانت الدراسة تتمحور حول الشخصية الرئيسة والمحورية في النص الروائي، باعتبارها شخصية مرضية تحاول التأقلم، والعيش بصورة طبيعية، متأثرة بالعوامل البيئية، إلا أن التنشئة المحيطة بحياة الطلياني؛ جعلته يكتسب سلوكات غير طبيعية أثرت عليه وعلى من حوله، فما هي هده العوامل التي أثرت على حياته وسلوكه؟ فقد عاش صراعا داخليا سبب له عقدا ومكبوتات، وانهيارات عصبية، انتهت بمرض الهستيريا، وبعدها العزلة التامة، والانطواء. فكان السارد هو الصديق المقرب للطلياني، لعب دور المحلل النفسي، مستقطبا أهم النقاط الدقيقة في حياة هذه الشخصية ملمحا إلى التطور الذي يمر به الفرد في حياته السيرية متعرضا لاعتداءات وتقلبات وإغراءات وانكسارات تؤدي بالفرد إلى الوقوع في بئر معطلة، تقوده الذاكرة إلى المرحلة الأولى من حياته.

الكلمات المفتاحية: التحليل النفسي؛ الرواية؛ الشخصية الرئيسة؛ المرض النفسي.

Abstract

This study sought to trace the Sigmund Freud approach of psychological mechanisms in the study of the novel "Taliani" by Shukri Al-Mabkhout. The upbringing surrounding the life of Talianim, it made him acquire abnormal behaviors that affected him and those around him. What are these factors that affected his life and behavior? so he lived an internal struggle that caused him complexes, repressions, and nervous breakdowns, which ended in hysteria. And then complete isolation and introversion. The narrator was the close friend of the Italian. He played the role of the psychoanalyst, polarizing the most important and delicate points in the life of this character, referring to the development that the individual goes through in his biographical life. He is exposed to attacks, ups and downs, temptations and setbacks that lead the individual to fall into a broken, which leads him to the first stage of his life.

Keywords: Psychoanalysis, The novel, the main character, mental illness.

* المؤلف المرسل

مقدّمة

لا يختلف اثنان في أن الدراسات الأدبية قد استفادت باللغة الأهمية من التطورات التي عرفتها العلوم التجريبية في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد تجلى ذلك في انتفاع هذه الدراسات بالبحوث الفلسفية حول طبيعة العبقرية والموهبة، والإلهام والخيال، والشعور واللاشعور، وهذا ما مهد لنشأة علم النفس، وهو ما مكّن نقاد الأدب من طرح تساؤلات حول طبيعة الإبداع وعلاقته بالنفس البشرية، وكيف أن للأدب انعكاسا على نفسية صاحبه، ومدى تأثيره على متلقيه.

فالعمل الأدبي عند سيد قطب هو: "تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية" (سيد ، قطب، 2003، صفحة 12) ومن هنا نستكشف أن العنصر النفسي متأصل في كل خطوة من خطوات هذه التجربة، والشعور والإيحاء ما هما إلا تعبيرات نفسية تبلورت في ألفاظ وكلمات، فالعمل الأدبي عمل صادر عن طاقات نفسية، ونشاطات ممثلة للحياة النفسية، ووظيفته تستدعي استجابة معينة في نفوس الآخرين، ويقول عز الدين إسماعيل: "أن النفس تصنع الأدب كما يصنع الأدب النفس" (عز الدين، اسماعيل، 1984م، صفحة 12) فالأدب والنفس متصلان لا غنى لأحدهما عن الآخر، لأن الفن والأدب نتاج نفس تحمل في ثناياها كل المتناقضات، ونفس تبحث عن اتزان لها في أشكال كثيرة من التعبير، والعلاقة بين النفس والأدب حقيقة كانت قائمة منذ أن عرف الإنسان وسيلة التعبير عن نفسه.

وجاء النقد ليشتغل على حسب كل ما يفكر به كل ناقد، بمعنى أن النقد بعامة كان نفسيا: "فكل ناقد قد حاول بوضوح أن يشتغل في نقده ما يعرفه أو ما يؤمن به من عمليات الفكر الإنساني" (ستانلي ، هايمن، 1958م، صفحة 255) وقد تطور النقد النفسي منذ العصر اليوناني إلى العصر الحديث متأثرا بنظريات أفلاطون وأرسطو الخاصة بنظرية التطهير، إلى أن جاء ليبنز وأدخل فكرة اللاشعور، وتبعه في ذلك كانط وهارتمان، وسانت بيف، ثم بدأت تتأصل نظرية التحليل النفسي مع الطبيب النمساوي سيجموند فرويد.

ويقوم منهج التحليل النفسي على أساس استعادة حقيقية للأحداث القديمة عند الفرد وذلك لإخراج ما في اللا شعور إلى الشعور، وتلعب الغريزة الجنسية، دورا بالغ الأهمية في نشأة الشخصية وبنائها، وكذلك لها دور بالنسبة للأمراض النفسية، وكذلك السنوات الأولى من عمر الإنسان، سواء كانت تتجه نحو أن تكون شخصية سوية، أم تتجه نحو المرض.

ومن خلال ذلك سلط فرويد الضوء على العوامل النفسية المحركة والتي تحفز السلوك، وركز على دور اللاشعور، وطور أول إجراءات في العلاج النفسي من أجل فهم وتعديل التركيبة الأساسية لشخصية الفرد. والنظرية تنظر إلى الفرد على أنه شهواني وعدواني، ومع ذلك فهي مهمة لأي عمل إرشاد نفسي والتي تتضمن إجراءات من عملية التحليل النفسي (التداعي الحر والتنفيس الانفعالي ... الخ) أي فن دراسة العقل الباطن. وقال بأن الانسان غير مخير وأنه ليس خيرا أو شريرا، وأن السلوك البشري محكوم بقوى ودوافع لا شعورية وبيولوجية وغريزية جنسية خلال السنوات الأولى من حياته،

وأن الإنسان يملك طاقة نفسية كبيرة، وتعتبر الحاجات البدنية هي المصادر الرئيسية للطاقة الغريزية، أي أن الطاقة النفسية لا تختلف عن الطاقة البدنية.

فالقراءة النفسية العميقة، هي واحدة من القراءات التي تقارب النص الأدبي من منظور نفسي، باستخدامها لأدوات وآليات التحليل النفسي، ففيها نستشرف الجوانب المكونة للنص من قضايا اللاشعور، والكبت والغرائز والموضوعات النفسية الأخرى، فتحليل النص نفسيا، هو إعادة قراءة تعيده إلى تكوينه النفسي (محمد، العيسى، 2003م، صفحة 30).

ولكننا في هذا المقال سنسلط الضوء على دراسة الشخصية الرئيسة في النص الروائي، وتتبع حالتها النفسية والمرضية، وبالتالي ماهي طبيعة الشخصية الرئيسة في النص الروائي؟ وهل هي شخصية سوية أم غير سوية؟ وهل هناك فرق بين الشخصية الرئيسة في الرواية الحداثية والرواية الكلاسيكية؟ وماهي أهم آليات التحليل النفسي التي تمكننا من تحليل الشخصية الرئيسة؟
وللإجابة على هذه الأسئلة لا بد من التعرف على وظيفة صوت السارد وعلاقته بالمحلل النفسي.

1-وظيفة صوت السارد

يحمل صوت السارد في رواية (الطلياني) وظيفة المحلل النفسي، ويلعب صوت الشخصية الرئيسة "الطلياني" دور المريض النفسي، ذلك أن العلاقة بين المريض والمحلل تكشف التجارب السابقة، وتفسيرات المحلل تساعد على إعادة تشكيل تجارب الطفولة التي أدت إلى ظهور الصراع؛ سواء كان داخليا أم خارجيا، وهذا بدوره أدى إلى الحالة العصبية التي وصل إليها "الطلياني" في نهاية المطاف.

فالسارد الذي أدى وظيفة المحلل النفسي، كان يعرف جيدا دوره ووظيفته بشكل ممتاز فقد كشف للقارئ الحقائق التي جعلت من "الطلياني" شخصية عصبية، ومنفعلة، وهائجة في مراسم دفن أبيه، وكأنه يتفق مع القارئ على أن "الطلياني" مريض، وله عدة أسباب أدت إلى مرضه، ولا يكون ذلك إلا عندما يقوم السارد بالاستنتاج من الذكريات الصغيرة ومن التداعيات، وسلوك الشخص الذي يتعرض للتحليل.

وفي الوقت نفسه اتسم السارد بالحيادية، فهو مجرد مستمع لما يقوله الشخص المريض. ولا يملي عليه نصائح أو أوامر، بل يكتفي بالمشاهدة المتعاطفة، وفي استماعه كان يحوم حول كلمات المريض، وكان يسأل ويبحث عن المعاني في كل إجابة من إجابات المريض. وأن كل حركة وإيحاء في صوت المريض، كانت تكشف وتحلل وتشكل دلالة ويترك القارئ بعدها يخوض في تفسيرات لها معنى حول أصل وطبيعة الصراعات النفسية لدى المريض. ولكنه في الوقت نفسه، ليس طبيبا نفسيا، بل محللا، وأن حالة الطلياني هي حالة مرضية فعلا، وتحتاج إلى علاج: ".. ولكنني لست طبيبا. حاولت أن أفسر له أنه مجرد شعور، ويجب مراجعة الطبيب فلعله اضطراب نفسي " (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 117)

ويتمثل دورنا كقراء في معرفة مرض الطلياني النفسي، واستنباط أهم الأسباب التي دفعت به إلى تلك الحالة المأساوية التي وصل إليها، لذلك علينا أن نفتح صندوق الذكريات مع السارد، خاصة إن كانت هذه الذكريات فيها الكثير من الأحداث التي تدلنا على السبب الرئيسي الذي ساهم

إلى حد كبير في مرضه، وكما يقول (يونغ) "هناك الكثير من عناصر الحياة التي تم التعرض لها، تقبع في غرفة الذكريات التي يعلوها الغبار وإن الفرد يتطور إلى كائن روحي " (شـــاكر، عبد الحميد، 1992م، صفحة 83).

وقد مر "الطلياني" بتجربة مريرة في طفولته، أثرت كثيرا على مســتقبله النفســي، وحتى نتمكن من تشخيص هذه التجربة، لا بد أن نمر على مراحل تكون شخصيته.

2- مراحل تكون الشخصية الرئيسة

2-أ- العوامل الجينية والتشكيلية

هذه العوامل لها دخل في تكون شـخصـية الطلياني، من حيث الشـكل: "فحتى وسـامة الفتى جمعت بين الأصول الأندلسية لأمه وجدته ومخايل الوسامة التركية لأبيه وجده..." (شكري، المبخوت، 2014م، صــفحة 36). وورث ذلك الجمال الإيطالي من خالته: "...حيث تقطن خالته المطلقة، وكانت هي أيضا ذات جمال شبيه بجمال الإيطاليات... "(شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 26). ولم تكن له أيه علاقة ببر الطليان، إلا أنه يشبههم لعدة أسباب من بينها أن أمه: "توحمت على إحدى الشخصيات في قناة الراي أونو الإيطالية" (شــكري، المبخوت، 2014م، صــفحة 25). أو أنها توحمت على إحدى الشخصيات الإيطالية، من أصدقاء زوجها.

غير أن ملامحه الإيطالية أكســبته جاذبية وميزته وجعلته مختلفا: ".. غير أن نســبته إلى بر الطليان قويت وتر سخت على مر الأيام، وازدادت و ضوحا وتبلورا. وهذا أول اختلاف ميز "عبد النا صر" داخل العائلة ولفت إليه الانتباه بحيث أصــبح محط الأنظار منذ صــغره" (شـكري، المبخوت، 2014م، صــفحة 25). وبما أنه صــغير العائلة، فإنّ جمال وجهه منذ طفولته أكســبه رونقا وبات محبوبا عند الفتيات: "كان عبد النا صر ما يزال طفلا في عيون أمه، وإخوته ولكنه كان شابا يتقد شهوة في عيون الأخريات. ثم إنه غدا فتنة للنساء والفتيات، بسبب ملامح وجهه وقسماته، وابتسامته المر سومة على شفتيه، وعينيه الأخاذتين، ونظرته الساحرة، وهيبته التي تسميها النسوة في حينا (الريشة)" (شكري، المبخوت، 2014م، صـفحة 34). وهذا الجمال الذي تميز به منذ الطفولة جعله سـاحرا وعرضـة للذين يتصيدون الأطفال بغية اغتصابهم.

2- ب- الصراع النموذجي الذي يؤدي إلى القلق لدى الطفل

يحتاج الطفل دائما إلى الاهتمام. وإذا فقد هذا الاهتمام يـصبح غير مكترث بوالديه، ويتـصرف معهما بعدوانية، وبما أنه الأصغر في العائلة الكبيرة، فقد نشأ في البداية معتمدا على والديه، ثم بدأ يفقد ذلك الاهتمام: "فهو من ناحية مهمل، عادة متروك لحاله لا أحد من الكبار يبحث عنه إذا انزوى، أو خرج للعب مع أطفال الحي، أو صـعد إلى سـطح البيت (...) وهو من ناحية ثانية محل عناية الجميع، إذا أرادو ملاعبة الصبيان" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 26)

وتتصــف هذه المرحلة بأن الطفل: "يشــعر بالغضــب تجاه والديه، لأنه كان يعتمد عليهم، وأي تعبير عن الغضـب، يعرضـه للخطر تؤدي إلى حالة القلق" (بريسـفال، بيلي؛، 1999م، صـفحة 246)،

حيث كان: "في عين أمه صعلوكا خارج السرب. إنه الحبة السوداء الفاسدة في بيدرها" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 12).

بالإضافة إلى ذلك انتصار الأب للأخ الأكبر، على الأصغر، فكان دائما يصرخ في وجه "الطلياني"، وهو شاب حيث: "نقشت في ذهنه حادثة، مازال صداها يرن في أذنه إلى الآن. كانت العائلة مجتمعة في فناء الدار (...) وفي غفلة بدأ النقاش يحتد بين "عبد الناصر" و"صلاح الدين"، حول الوضع السياسي، أو الاقتصادي (...) صرخ "سي محمود" في وجه ابنه الأصغر:

_"متى ستكف عن وقاحتك وأنت تتحدث إلى سيدك خوك؟"

أجاب "عبد الناصر" منفعلا: "ليس لي سيد ولست عبدا لأحد. لقد تركت أخلاق العبيد لكم"

_"اخرس يا كلب".

قالها الأب ويداه ترتعشان. وهمَّ بضرب الفتى الوقح (...) أجال الفتى المشاكس نظره في الجالسين، على البسط المفروشة أرضا. نظر متبسما إلى أبيه، ابتسامة تحدٍّ وغادر الفناء في اتجاه السقيفة" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 17، 18).

فهذا الصراع بين الابن والوالدين، ناتج عن فترة: "ما بين الاعتماد على الوالدين ومشاعر العداء ضد الوالدين، وهذه المشاعر تتمثل في قلة احترام الوالدين له، المتطلبات غير المنطقية، حالات المنع، عدم الإنصاف، الاعتماد ونقص الثقة، كثرة النقد الهدام سيطرة الآباء، قلة مشاعر الحب تجاه الطفل" (خير اللّه، عصام، 1982م، صفحة 74).

حتى إنه همش دورهما في حياته، تزوج بدون علمهما، وعندما دخل الجامعة، ذهب ليعيش في بيت آخر بعيدا عنهما. وبعد تلك الحادثة أصبح متحفظا لا يجادل أمه ولا أباه.

2 – ج- الخبرات المبكرة

وفيها: "تتعرض الشخصية إلى تغيرات عديدة، بعد نهاية مرحلة الطفولة" (خير اللّه، عصام، 1982م، صفحة 89). فيصبح الفتى يحلم بعالم خاص، لا يقتحمه أحد:" فقد صمم الصبي آنذاك على أن يكون له عالمه الخاص، وأشياؤه الصغيرة التي لا يطلع عليها أحد، ربما أدرك أن الأسرار التي تشد الناس إلى المرء، لا تكتسب قيمتها من ذاتها، مثل التفاهات التي في غرفة أخيه. بل تكتسبها من إخفائها عن أعين الفضوليين أمثاله" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 33). من هنا بدأ الفتى يفهم معنى الأسرار، وهي تلك الأمور التي تكتسب قيمتها في إخفائها.

2-د- مراحل النمو (النفس - جنسية)

قسم سوليفان(Harry Stack Sullivan) فترة النمو التي أسماها فرويد (Sigmund Freud) (الكامنة) إلى حقبة أحداث ما قبل سن المراهقة؛ ففي خضم مرحلة الأحداث يكون الطفل يحب اللعب مع أقرانه، ويتعلم التكيف مع متطلبات أفراد الأسرة، والمعلمين، والجيران وأقرانهم فيحبون الشجار والتسامح، ويدركون فعالية التعامل مع الأفراد الذين يختلفون عن ذاتهم، ولكن إذا تصرف معهم أحد الأفراد الموثوقين بشكل غير طبيعي، كاغتصاب جنسي مثلا فكيف ستكون ردة فعل هذا الطفل، هل سيتقبل الأمر ويعتبره عاديا أم أنه سيرفضه بكل جوارحه؟ هل سيرفضه عقله وجسمه ومشاعره؟ هل سيتألم من هذا الفعل الشنيع جسديا فقط أم نفسيا وجسديا معا؟ وعندما يصرخ

علانية ويشير إلى الفاعل، فيعاقبه المجتمع والعدالة هل تتحسن نفسيته؟ أم أنه يبقى على حاله؟ هل يكتم غيظه، ويترك النار تأكله سنوات وتؤثر على حياته مستقبلا؟ هل يكتسب الطفل في مرحلة ما قبل المراهقة وعيا بأن اغتصاب الطفولة جريمة يعاقب عليها القانون؟

وعندما يخفي الإنسان شيئا ما بداخله، حتما سيكون ثقيلا عليه، ويعذبه إن كان خطيرا، لذلك فهو أخفى تلك الحادثة الأليمة، التي حصلت له مع "الشيخ علالة" ولو أنه صرّح بها لكانت الأمور تغيرت فعلا. حيث: " ناداه علالة الدرويش من باب المسجد. اتجه نحوه فجذبه بقوة وأدخله إلى الميضأة. فهم الصبي أن في الأمر شيئا غير عادي. وضع علالة يده على فم الصبي. كاد يختنق لولا أنه تنفس من أنفه (...) قال لي "عبد الناصر" إنه فكر بعد ذلك في الانتحار. أخذ سكينا من المطبخ في قيلولة يوم غد. بعد ليلة قضاها متألما. لم يشعر بألمه أحد. أدخلها معه إلى المرحاض وبدأ يحاول غرسها في بطنه. أراد أن يبقر البطن بيد أن خوفه من الألم الذي قد يسببه الجرح، ومن مشهد الدماء أثنياه على ذلك". (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 319).

أما في مرحلة ما قبل المراهقة فيبدأ الطفل: " بإدراك فعالية التعامل مع الناس الذين يختلفون عن ذاتهم. وتبدأ مرحلة المراهقة عندما يطور الطفل علاقة حميمة مع صديقة أو زميلة وتنتهي هذه العلاقة بظهور اهتمام وحاجة.." (هناء، خالد الرقاد، 2017م، صفحة 85). لكن الطلياني طور علاقة حميمة مع امرأة تكبره سنا. "للاّ جنينة" حيث: "أصبحت للاّ جنينة تزيد من احتضانه وتسرف في تقبيله وهو ابن الرابعة أو الخامسة عشرة من العمر(...) وقد أعجبه ذلك، وأثار فيه مشاعر لم يسبق أن عرفها (...) ومن يومها بدأ الطلياني يتعلم على يد للا جنينة، ألوانا من فنون الجسد المختلفة... " (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 39).

وقد اعتبر سوليفان أن: "فترة الأحداث، ومقابل المراهقة، مراحل هامة جدا في حياة الشخص. وخلال هاتين الفترتين؛ يتم إنشاء وتحديد أسس جميع العلاقات الاجتماعية المستقبلية..." (ستانلي ، هايمن، 1958م، صفحة 124) .

وتعتبر مرحلة المراهقة، من مراحل النمو (النفس - جنسية) حيث عاشها "الطلياني" مع "للا جنينة"، أو بالأحرى اكتسب خبرة معها قبل مرحلة المراهقة، وفجأة وجد نفسه في هذه المرحلة من المراهقة في أحضانها ويعز عليه الابتعاد عنها. يعني أن: "النمو يعزز الرغبة الجنسية عند الانتقال عبر عدة مراحل. وفي كل مرحلة نفس- جنسية" (سيجموند، فرويد، 2000م، صفحة 164). لأن "للا جنينة" كانت تطالب الفتى بأكثر من اللازم، تدعوه عدة مرات إلى بيتها حتى تملَّكَه الضجر، وخاصة أنها تناديه أحيانا باسم أخيه "صلاح الدين" بدلا من "عبد الناصر": "قرر "عبد الناصر" وقد جاوز الثامنة عشرة بقليل، أن يوقف اللعب بالنار. فقد أصبح لعبه مع "للا جنينة" جادا أكثر مما يجب (...) يشعر بأنه سجين رغبات للَّا جنينة" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 341). ولذلك يجب حل التناقض، قبل أن ينتقل الشخص إلى المرحلة التالية، أي يجب تحرير الشهوة من المرحلة التي ترتبط بها، وإلا فإن صعوبة الانتقال إلى مرحلة أخرى سيكون صعبا: "لم يكن من السهل عليه أن يترك جنينة وخيراتها" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 342).

لذلك فإن المقاومة غير الواعية التي يقوم بها "الطلياني" مع "للا جنينة" لأسباب خوفه من أن يفتضح أمره معها، فهذه المقاومة غير الواعية، تجعله يتجنب الحديث عن "جنينة" وعن ذكرياته معها، ويفضل الانتقال من مرحلة إلى أخرى، لذلك فإن: "آليات الدفاع الذاتية تمنع الأفكار غير الواعية من الظهور في تداع حر" (خير اللّه، عصام، 1982م، صفحة 122).

2-هـ - الثبات/التثبيت

وتتمثل في صعوبة انتقال الفرد من مرحلة إلى أخرى خاصة وأن: "بعض أشكال الليبيدو تكون ثابتة، في كل مرحلة نمو نفس - جنسية، وعند ثبات أحد عناصر الشهوة في مرحلة مبكرة من النمو، فإن شخصية الفرد قد تخضع لسيطرة المزاج، لتحقيق الرضا الذي استخدم في مرحلة مبكرة" (سيجموند، فرويد، 2000م، صفحة 150).

لذلك عند ما انتقل "الطلياني" إلى مراحل أخرى في حياته، وتعرَّف على "زينة" و"نجلاء" والعديد من الفتيات، لم يجد المتعة التي وجدها عند "جنينة"، ولم يعرف ما الذي ينقصه ولكنه عندما التقى بـــ "ريم" كأنه تذكر "جنينة" من خلال رائحتها، فلم يستطع أن يتركها، فرائحتها تشبه رائحة "جنينة" كثيرا، وهذا يعني أن للرائحة دورا فعالا في تذكر الماضي، بل إن رائحة "جنينة" نفسها هي رائحة تشعره بالارتياح، هي رائحة يمتزج فيها حنان الأم مع حنان الخليلة، هذه الرائحة التي أنسته في صغره خوفه الشديد من "الشيخ علالة" بعد هروبه منه والتقائه بـــ "جنينة": "نسي عبد الناصر رعبه وأسكرته رائحة الحرقوص، والعطر، والسواك في فم جنينة..." (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 321).

وهي نفس الرائحة التي وجدها عند "ريم"، بل أنسته الرائحة نبأ وفاة أبيه حيث لم يكترث للأمر، لأنه وجد ضالته المخبأة في اللاشعور، ولكن في الوقت نفسه عندما استدارت "ريم" تذكّر رائحة نجاسة ما فعله به "الشيخ علالة": "إنها الرائحة نفسها التي وجدها في ريم حين زارته في بيته، رائحة الحمام. فلم لم تهبه ما كانت تهبه له للا جنينة؟ لم استدارت كما أداره، في ميضأة المسجد، علالة الملعون ولد العاهرة المنافق؟ " (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 321).

فهذه المعادلة التي عكسها الزمن لـ "الطلياني" ولدت له حالة عصبية، انهار بسببها مباشرة: "..كان ساهما. جاثيا على ركبتيه فوق السرير. أصبح وجهه المليح كوجه شيطان رجيم، أصبح يرتعش محملقا وفجأة انهار على الفراش... " (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 317). كانت الصدمة قوية بالنسبة له، أثرت في أعضائه الجسدية والنفسية، كأن الزمن انهار عليه بمعول، وأخذ يقطعه إربا إربا.

3- من الصراع الداخلي إلى المرض النفسي

غالبا ما تظهر الشخصية الرئيسة مهزومة ضائعة في الرواية ما بعد الحداثية/ الرواية المعاصرة، على عكس ما كانت ترقى به شخصية الرواية الكلاسيكية، أو كما نسميه بالبطل، الذي يعتبر قدوة لكل قارئ، على عكس البعد النفسي الذي يُكَوِّن الشخصية الرئيسة في رواية "الطلياني": "فليس سوى التمثل السلوكي المعلن والخفي غالبا، الذي يأتي تعبيرا عن التصادم بين - كما يرى فرويد - الرغبة والواقع" (محمد، معتصم، 2014م، صفحة 40) أي تصادم ما تراه الشخصية الروائية

والواقعية، ويتشكل البعد النفسي انطلاقا من درجة وحدة التصادم، ودرجة القدرة الذاتية للشخصية، وامتلاء الذات أو اهتزازها واضطرابها. وينتج عن هذا الاضطراب ما يسمى بالمرض النفسي.

3 -أ-عقدة أوديب

يتعلق الطفل بوالدته تعلقا شـــديدا، خاصـــة أن هذا التعلق يزداد كلما تحاول الأم الابتعاد، ولكنه يمر بمراحل من الإحساس بالاطمئنان في رحم الأم، إلى الخروج إلى العالم الخارجي، حيث يجد انفصالا بينه وبين أمه، فيزداد رغبة في وصالها، وخلال السنة الأولى، تبدأ المرحلة الفموية المرتبطة بالرضاعة، واقترح "فرويد" بوجود شخصية فموية، كما أن الاعتقاد السائد بين علماء علم النفس هو أن: "الأفراد الذين يثبتون في المرحلة الفمية، قد يكون لهم نظرة تفاؤلية نحو العالم، ويطورون علاقات إيجابية في ســـن الرشـــد، وعادة ما يتصـــفون بالودية واللطف والســـخاء، وبالمقابل. فإنهم يتوقعون من العالم أن يرعاهم كأم لهم" (سيجموند، فرويد، 2000م، صفحة 138).

من خلال ذلك يثيرنا سؤال: ما المقصود بالشخصية الفموية؟ وهل لهذه الشخصية علاقة بالأسرة؟ وما علاقتها بعقدة أوديب؟

فالشخصية الفموية (جورج ، طرابيشي، 1987م، صفحة 107) قسمها "أبراهام"Abraham Maslow إلى قسمين: ثم طورها "فرويد" بعد ذلك: الأولى تسمى (بالشخصية فموية الإثارة) وهي تلك الشخصية التي وجدت رعاية وأمنا، وحرية، واستقلالية، في البيت والأسرة، بمعنى أنها تعودت على الأخذ والعطاء دون مقابل، وتعبر هذه الشخصية عن حريتها التعبيرية بكل طلاقة.

أما النوع الثاني فهو مرتبط (بالشخصية الفموية السادية) وهذه الشخصية تعرضت للإحباط كثيرا في البيت، ويتعلم الأطفال هنا بأنهم يجب أن يأخذوا لكي يعطوا، أي هناك مصـــلحة في تعاملهم، وهذه الشخصية تمثل "الطلياني" كثيرا، فهو من النوع الذي تربى في بيته على الأخذ ثم العطاء، ونجد ذلك عندما أخذ غرفة أخيه عنوة، فما كان لأمه إلا أن ترضـــخ لطلبه وتســـلمه الغرفة، حتى يبقى هادئا، ولا يثير المشـــاكل في البيت، وهذا النوع من الأطفال يصـــبح في المســـتقبل اســـتغلاليا، فيأخذ كي يعطي، كما فعل مع "نجلاء" حين اشـــترى ســـلســـلة الذهب وأهداها لها مقابل مبيته معها، وكما فعل أيضـــا مع "ريم" التي أراد أن يحظى بها مقابل أن يعطيها دورا في فيلم هو مخرجه.

إذا ترتبط الشخصية (الفموية السادية) بالأخذ، ثم العطاء، مع أنها ترتبط بالأم خاصة وأن "أم الطلياني" كانت دائما تطلب منه ثم تعطيه، حتى تعوَّد على أن يأخذ ثم يعطي، ولكن أمه قاســـية معه، عندما أصبح لا يسمع كلامها، فأصبحت تتصرف معه بعنف وتصرخ في وجهه دائما، وبعدها وجد في "للا جنينة" حنان الأم الذي فقده، خاصـــة وأن عطرها، مرتبط بالحمام الذي كان يذهب إليه في صـغره، مع أمه وإخوته، فيشـاهد ما يروق له من النسـاء، فأصـبح ميله إلى "للَّا جنينة"، ما هو إلا تعويض عن حنان الأم، خاصة أنها تعطيه أكثر مما يأخذ.

ضـف إلى ذلك غيرته من زوجها "الشـيخ علالة" فلا يريد أبدا أن يشـاهده معها أو يتصـور بأنه زوجها، فيحاول أن يفرض سـيطرته وربما انتقامه منه وما فعله به في ميضـــأة المســـجد، لذلك فهو

قريب من للًّا جنينة أكثر من "الشـيخ علالة". وهذا ما هدأ من روعه ومن صـدمته في الصـغر، لأن جنينة كانت هي علاجه ومواساته، بطريقة أفيونية لم يكن يعيها في ذلك الوقت.

ومع تعرُّفه على "زينة" واتخاذها زوجة، لأنه وجد فيها جمالا فكريا، جامحا، وثقة جعلته يحتمي بين أحضـانها، فيلجأ إليها في ضـعفه، ويرى ضـعفها في قوته، كانت ملجأه وبيته الذي يسـكن إليه. ولكنها خيبت أمله، وتركته، ولم تعوضه نساء العالم عن ذلك، ولم تكن صدمته بـــ "ريم" قليلة، أراد أن يحظى بها ويطاردها، لأنه يتلذذ ككل رجل، بمطاردة الفتاة التي تكون صـعبة المنال، حتى يصـل إلى أقصـى درجات الاسـتمتاع، حين يظفر بها، فهي مجرد فريسـة لا أكثر، ولكنه تفاجأ حين وجد فيها رائحة "للا جنينة"، كأنه وجد ضالته ووجد أمه، ووجد ما يبحث عنه، فتفاجئه بتحطيم سور ذلك الأمان الذي أحس به معها، وترجعه إلى النقطة التي أخرجته منها "للا جنينة"، ترجعه إلى رائحة "علالة" وحادثة الميضـأة في المسـجد فيتوقف به الزمن في تلك النقطة، ويزول مفعول الأفيون الذي تركته "جنينة" في باطن وأعماق لا شعوره، فينتفض فزعا مذهولا من الصدمة، وكأنها وقعت البارحة، وكان "الشـيخ علالة" قد اغتصـبه وهو في هذا العمر، ولا يسـتطيع أن يفعل شـيئا، كأنه مربوط بخيط من الزمن لا يستطيع الفكاك والهروب منه.

وتجلت عقدة أوديب أيضـا، في خوف الطلياني من الإخصـاء وهو مشـتق من الخوف من الموت، وهذا الخوف عادة ما يلازم الذكور، حين يتعرضـــون إلى مثل هذه الحالات، فكانت النتيجة الانهيار والبكاء والعصبية والإغماء والدخول في حالة هستيرية.

3 -ب-مرض الهيستيريا

فمريض الهستيريا: "يعاني أعراضا جسدية مثل شلل الأطراف وعدم الإحساس بعضو معين، ولكن ليس هناك سـبب مادي ملموس لهذه الحالة" (زين الدين، المختاري، 1998م، صـفحة 45). وهذا فعلا ما يعاني منه "الطلياني"، يعاني شـللا في أحد أعضـاء جسـمه: "كان يشـعر بخصـاء فظيع. كأن بطنه ابتلعت آلته. وضـــع يده هناك فلم يجد شـــيئا(...) كان يصـــر على أنه ذكرى رجل. لم يعد قادرا على تحريك ساكن من جسد امرأة..." (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 317).

واســتنتج "بوير"(Pascal Boyer) و"فرويد". أن مرضـــى الهســـتيريا: "لديهم ذكريات مؤلمة، مكبوتة، وعواطف مكبوتة، في العقل الباطن. وأن هذه الذكريات والتجارب ستكون محسوسة، مثلما هو الحال مع أعراض الهستيريا الجسدية" (هناء، خالد الرقاد، 2017م، صفحة 245). وهذه الذكريات هي سـبب المرض الهسـتيري الذي وصـل إليه "الطلياني". بل إن تركه "للا جنينة"، لم يجرح كبرياءه بقدر ما جرحته زوجته "زينة"، عندما تركته. فلم يجد غير معاشـرة النسـاء، حتى يلملم حطام نفسـه وكبريائه: "وربما هذا ما يفسر مسارعته إلى لملمة حطام نفسه المعذبة، ما إن التقى بريم. أراد بكل اندفاع وبأسلوب مميز أعرفه لديه، أن يعاود السير في طريق الحياة، ولكنه أسرع أكثر مما يجب، وقفز قفزا وجد به نفسـه في بئر عميقة معطلة. أوصـلته إلى حال الهسـتيريا، التي كان عليها في المقبرة، يوم دفن الحاج محمود، أو على الأقل كان ذلك حاسما في وصوله إلى تلك الحالة" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 301).

وهذه الحالة التي وصل إليها "الطلياني" يوم دفن والده تتمثل في حالته العصبية، حيث: "من كانوا في الدائرة الأولى رأوا عبد الناصر يوجه ضربة بحذاء البرودكان، إلى وجه الإمام الذي كان في الحفرة، يستعد لدفن المرحوم. كانت صرفقتها مسموعة، مما يدل على قوتها. دخل عبد الناصر في حالة هيجان صارخا، يرمي الإمام الشيخ علالة بأقذع النعوت التي لا تليق إلا بأسافل القوم. لم يكفه ذلك، ارتمى عليه يريد إشباعه لكما، وربما نوى خنقه لولا أنني انتزعته منه، ثم أخذته مع بعض الأصدقاء بعيدا، وهو سارد في صياحه وسبابه وتهديده، يرغي ويزبد إلى أن فقد الوعي" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 08).

فهذه الحالة العصبية التي تعرض لها "الطلياني" هي نتيجة: "للكبت، وتمثِّل إشباع الأشياء المفقودة في الحياة". وهي كما فسرها "فرويد": "تعكس صراعات عالقة يمكن أن تظهر على شكل أعراض عصبية، مثل القلق والاندفاع... " (سيجموند، فرويد، 2000م، صفحة 54). أضف إلى ذلك أن مرضى الهستيريا أشاروا إلى تجاربهم السابقة، مما يؤكد أن الحالات العصبية: "كانت لها جذورها في حالات الإغراء الفعلية في الطفولة" (خير اللّه، عصام، 1982م، صفحة 82). وهذا يعني أن إصابة الشخص في الحالات العصبية، يكون سببه عوامل بيئية، وتركيبية، وأن الشخص قد يتحرر من واحدة من الأعراض، ولكنه سيتعرض إليها مرة أخرى مهما طال الزمن، لذلك فإن ظهور الأعراض الجديدة في هذا الموقف يسمى (باستبدال الأعراض) (هناء، خالد الرقاد، 2017م، صفحة 48). ثم يدخل المريض بعدها في حالة من العزلة والانطواء واليأس.

3- ج- الانطواء والعزلة

عندما تأثر "الطلياني" كثيرا بالأحداث التي مرت عليه، وبعد حادثة المقبرة أصبح يميل للعزلة، و لا يكلم أحدا ماعدا أخته "يسر" التي اعتبرها ملجأ لأحزانه، وتعوضه عن حنان أمه القاسية حيث إنه قد: "شحب وجهه، وذهب ألقه، ونحل نحولا مرضيا، بعد أن غرق في الكحول والسجائر والعزلة... " (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 12). وتعتبر هذه العزلة من أشد الأمراض التي تفتك بالإنسان بعد الصدمة التي يتعرض لها؛ حيث اعتبرها "يونج" (Carl Gustav Jung): "مظهرا من مظاهر الدفاع عن النفس ضد العالم الخارجي، فنحن نعيش في العالم لكننا نخشاه ونحن محبوسون في الخارج، ولكننا نحِنُّ دائما إلى دفء الداخل، إن الداخل في نظرنا يعني الحرارة، الطمأنينة، الأمن، الصدر الحنون..." (عبد العزيز، شرف، 1993م، صفحة 18).

يظهر أن "عبد الناصر" متشائم بشكل غير طبيعي، ويائس من حياته لدرجة أنه يقول لأخيه: "... أعلم أنني لا أصلح لشيء... أنا فاشل... مخفق.. خائب ولا أريد أن أعترف بذلك لنفسي" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 18).

وإدراكه أن نشأته منذ الطفولة كانت سببا في فشله، وعدم نجاحه: "الكأس كلها مهشمة منذ البدء. ولم أقدر على رأب صدعها، وإن أوهمت نفسي بقدرتي على ذلك" (شكري، المبخوت، 2014م، صفحة 19). فهذا التشاؤم واليأس الذي وصل إليه "الطلياني" يدل على مرضه النفسي، وأنه بحاجة

إلى علاج ولكن "فرويد" يقترح حلا لمرض الهستيريا قبل وقوعه، بمعنى أن المريض الذي يتعرض لحادثة ما لابد أن يتعالج عن طريق ما يسمى بالكاثرتيكية.

3- د-الكاثرتيكية أو المسهلة التنفسية

وهي: "تتميز بإطلاق العواطف المكبوتة وإخراجها" (هناء، خالد الرقاد، 2017م، صفحة 56) وذلك عن طريق تذكر التجارب السلبية التي تخلص الفرد من العقدة النفسية، بإفساح المجال أمامهم للتعبير عنها تعبيرا كاملا، وأن إطلاق هذه العواطف والتعبير عنها سواء بالغضب، أم بالصراخ، وحتى بعد أن يغمى على المريض، جراء ذلك فإن: "نتيجة إطلاق العواطف المكبوتة، هو الذي أدى إلى تخفيف الأعراض وعلاج المرض العصبي" (بريسفال، بيلي؛، 1999م، صفحة 56) . لذلك فإن العلاج الناجح. يحدث عندما يعرف المريض حقيقته، ويتقبلها، ويمكن الوصول إلى عمق فهم الذات عن طريق التحليل النفسي.

لم يكن "شكري المبخوت" قادرا على البوح بعقدته الجنسية، ولا قادرا على الإفصاح عن عقدته المرضية، لو أنه لم يخلق إطارا ثقافيا، مشتركا، لا يكون فيه المريض من حادثة الاغتصاب الطفولي نموذجا إنسانيا منبوذا، فقد بدا السارد، وكأنه يدعو القارئ إلى التماهي في هذه الشخصية وتقبلها؛ إنها ليست غريبة عن ثقافة العصر وقيمه الحداثية، مهما يكن موقفنا الأخلاقي والاجتماعي منها سلبيا، لأنها نتيجة حادثة بشعة.

عندما أعاد السارد تشكيل صورته الجاهزة في أذهان قرائه، كان معنيا بتعرية سماته السلبية، في المقام الأول، بحثا عن الخلاص الذاتي، ودعوة للقارئ للتفكير معه في أعطاب هذه الذات. وعلى الرغم من المسافة التي خلقها نص السيرة بين صورة الذات الجاهزة وصورتها الخطابية، إلا أن هذا التداخل في النص، يفصل بين الذات المثقفة، بعيدة عن كل الشوائب، التي تجعل منه شخصا ماجنا، عديم التربية، فكل ما يرويه عن ذاته، من صفات غير أخلاقية مستهجنة، لا يدخل في باب النقائص، بل في باب الجرأة على الإفصاح وقول الحقيقة، أي حقيقة الإنسان الناقص، الذي يعاني اضطرابات نفسية وسلوكية.

خاتمة

سعت هذه الدراسة إلى كشف الجانب النفسي/ المستور في رواية الطلياني، معتمدين على منهج التحليل النفسي الفرويدي، في دراسة الشخصية الرئيسة للرواية، ومن خلال ذلك يتضح أن هذه الشخصية السيكولوجية هي شخصية ضائعة وتائهة مقارنة بعلاقة الفرد بالمجتمع، خاصة وأن رواية السيرة الذاتية ترصد البعد النفسي للشخصية الرئيسة، وتمثلها على أساس أنها مريضة نفسيا، وقد كشف عن ذلك نظرية التحليل النفسي التي أسهمت في كشف متاهات النفس الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1- المبخوت، شكري. (2014). الطلياني، رواية. تونس: دار التنوير للطباعة والنشر.

ب-المراجع

1- بريسفال، بيلي، تر: محمد هلال. (1999). نقد نظرية التحليل النفسي. سلطنة عمان: دار المناهج.

2_ طرابيشي، جورج. (1987). عقدة أوديب في الرواية العربية. بيروت: دار الطليعة.

3_ خير الله، عصام. (1982). مقدمة لعلم النفس الأدبي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

4_ المختاري، زين الدين. (1998). المدخل إلى نظرية النقد النفسي. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

5_ ستانلي، هايمن، تر: إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم. (1985). النقد الأدبي ومدارسه الحديثة. بيروت لبنان: دار الثقافة.

6_ سيجموند، فرويد، تر: سامي محمود علي. (2000). الموجز في التحليل النفسي. القاهرة: مكتبة الأسرة.

7_ قطب، سيد. (2003). النقد الأدبي أصوله ومناهجه. القاهرة، مصر: دار الشروق.

8_ شاكر، عبد الحميد. (1992). الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة. القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

9_ شرف، عبد العزيز. (1993). أدب السيرة الذاتية. القاهرة: دار توبقال للطباعة والنشر.

10_ إسماعيل. عز الدين. (1984). التفسير النفسي للأدب. القاهرة، مصر: مكتبة غريب.

11_ المعتصم، محمد. (2014). مكون الشخصية الروائية من السند التاريخي إلى هلاميات وادي السيلكون. الجزائر: دار التنوير.

12_ خالد الرقاد، هناء. (2017). نظريات الشخصية وقياسها. عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع.

ج- المقالات

1_ العيسى، محمد (2003). القراءة النفسية للنص الأدبي. مجلة جامعة دمشق. المجلد، 19. العدد 1+2.